الظهور الالهي

نشيد لشاعر رومانس المرنم

عربه عن اليونانية وعلق عليه
الاب فولاوس قادري ف. ب.

توطئة

في ذلك الزمان تفتحت كوى السما. في لحظة من الأزل المتجدد وانبثقت عنه شفات من الضيا. تناثرت موجاتها على ضفاف الاردن فبددت عن تلك الشواطى. ما تكاثف مع تراكم الأجيال من ظلمات الجهل وديا جير الخطايا الحالكات . وراحت يقظة النور تغمر الأرض من سنى الله فأضحى الضيا يموج بالصفا. فوق غمرة من المياه تنساب بين ضفاف النهر حاملة للعصور النشودة الله للأزل البعيد : « هذا هو ابني الحبيب » .

هذه الفترة الصغيرة من الظهور الالهي وهذه الومضة من اشراق الثالوث للبشرية كانت كافية لتدفق الحب والضيا. على تاريخ الانسانية تتجدد بيا. الاردن على يد يوحنا معمد المسيح .

اخذ رومانس هذه اللوحة الفريدة من مشاهد النصرانية وتوسع فيا بخيال وثاب وتحليل دقيق وانانة مرهفة فبسط الموضوع بثمان عشرة مقطوعة من الشعر جعلت من نشيده هذا حوارًا لطيفًا ومسرحية حقيقية تظهر فيا وحدة التأليف والموضوع منسجمة مع وحدة المكان والزمان . وهو قطعة من الجمالات الساحرة ونشيد من ملحمة النصرانية تفيض من ابرادها لُمَعُ الشعر والوحي الخصيب .

والنشيد حوار رشيق يدور بين يوحنا والمسيح . فالمقدمة عرض للموضوع تحمل في ابياتها السبعة ظهور الاله للبشرية . ثم تبدأ المقطوعة الأولى فتضفي على « جليل الأمم » « وكورة زابلون وارض نفتاليم » نورًا عظيمًا وفجرًا بهيًا وشمسًا روحية تنشر اشعتها على الدنيا فاذا بأبنا. آدم العراة يتسربلون الضيا. ستراً لعريهم .

وفي المقطوعتين الثانية والثالثة يتوالى ذوبه المتجسد من ... في سبك الدقيقة نحس صوت الله يتشفى في الفردوس ويدعو آدم ويخاطبه كأب يريد خلاص ابنه ثم يمد الخالق يديه ليضم اليه خليقته الساقطة .

ومن المقطوعة الرابعة الى السابعة يظهر يوحنا المعمدان بمظهر الخوف ويزن نفسه أمام عظمة الاله وسيد الملائكة الظاهر امامه في شكل خليقة خاطئة تطلب المعاد . فيمتنع يوحنا ويقدم اعذاره واسباب خوفه ويهم بالتخلص من هذه المهمة فيقول للفادي « فاختر لهذا الأمر الذي تطلبه مني آخر غيري لانك اعظم مني وانا اخاف » ويسعى بالتفلت : « انت تقول : عمدني والملائكة تراقبني من العلاء ليقولوا اعرف ذاتك لا تتسرع . »

ثم يأخذ الحوار مجراه الطبيعي ويرتفع العمل المسرحي ويتبسط في اندفاع ورثبات خاطفة واذا بالمسيح يبدد خوف يوحنا ويستدعيه الى ان ينفض عنه هذا الارتعاد ويطلب الى السابق ان يرسل « يده كملاك ويعمده » .

فيتابع يوحنا استجوابه ثم اعتراضه على تعميد المخلص فهو يخاف ان يبسط يده فتحترق « بالنار » الواقف امامه في الاردن (مقطوعة ١٢) .

آنذاك يستحث المسيح يوحنا للاسراع في العمل دون جدال (مقطوعة ١٣) ويذعن يوحنا للأمر فيتقدم من « الخلاص المتعري في الاردن » . (مقطوعة ١٤) ويستدعي الأنام لينظروا في « النهر البحر العظيم » (مقطوعة ١٥) واذ يشعر الله الجميع ببطء يوحنا وتأنيه بالخلائق يصرخ به : « ضع يدك وانا أقويها » (م ١٦) فيحس يوحنا برهبة العمل ويسأل نفسه كأنما هو في احتضار الخوف المتلاشي امام القوة المتفجرة من يسوع : « كيف اعمد النمر الشديد وانا من تراب ؟ » (مقطوعة ١٦)

وفي رهبة الخوف يهيب المعمدان بالطبيعة وما فيها من سماء وارض وينابيع مياه لتدفق معه مجاري الفرح والحبور (م ١٧) وفي يقظة الطبيعة هذه وانتباه السماء والارض يمد يوحنا يده الضعيفة ويبسطها على الملك ويقود الى الارض ربّ الارض والبحار » . (م ١٨)

فتشق السماء اجواءها وتُسمع الارضَ صوتَ الله الآب يخاطب البشرية : هذا هو « ابني الحبيب » ثم يختم الشاعر نشيده بصلاة تملأ الدنيا من بركات

الثالوث الظاهر في عماد المسيح فوق ربوع الاردن وهكذا ينتهي العمل المسرحي ويمتد يسوع من يد يوحنا فيتم الاتصال بين السما. والارض (م ١٨) .

ويشعر القارئ بالحياة تتدفق من هذه المقطوعات الغنية بالمعاني الرائعة والالفاظ الساحرة بتقاطيعها وأوزانها المتناسقة .

والشعر عند رومانس حي بحياة الفن والصلاة وما الفن سوى إيقاظ المشاعر في نفسية القارئ والمفكر . والفن عرض الالوان امام لوحة الذاكرة والخيال . وما قصيدة رومانس في انبساطها وانطلاقها سوى سيل من الاستفهام والارتياب النفسي من القوة الذاتية : « ماذا تطلب من انسان ؟ . . . لِمَ تخفي رأسك تحت يدي . . لِمَ وقفت في المجاري ؟ ماذا تريد ان تفسل ؟ » فيبقى يوحنا في شخصيته المتزجزجة والمحجمة الى آخر لحظة من القصيدة والعمل المسرحي فيقول ليسوع : « لِمَ أقودُ اذن الخطر بيدي (م — ١٢) » ومع هذا الاستفهام يثبت يوحنا بشهادة الكتاب المقدس سبب ارتعاده وتردده فيقول : « قديماً مدّ الحي يده ليُسك التابوت فقطت وانا عندما اضبط رأس الحي كيف لا يحرقني النور الذي لا يدنى منه (م — ١٢) واخيراً يصرّح بعدم جدارته وكفاءته : انا محتاج الى ان تصدني . ماذا تطلب من انسان يا محب الانسان ؟ » (م ٣—٦).

وما النشيد الا قوة الحياة تتفجر من القوة النيّرة العارفة قيمتها ووزنها فيسوع يبقى في شخصيته ونفسيته ذلك المتواضع الآتي « الى آدم العريان » واللابس الناسوت يأتي الى الخليقة ويمدُّ يده ليضم اليه آدم : « اهابت بي احشائي بانا اني رحيم ، فاتيت الى الخليقة باسطاً يدي لاضمك . فلا تخجل مني اذن فاني لاجلك انت العريان انا اتعرى واعتمد » (مقطوعة ٣) ثم يدنو من يوحنا بذلك التواضع عينه : « الا دع الآن فهكذا لائق ان اكمل ما حددته » . (م—٨) والتواضع لا ينفي الجرأة ولا القوة . فيسوع يحب الاتزان والعمل الجريء : « دعْ عنك هذا الخوف[٨] لا تُرتبك ! عمدني ![٩] وهنا تظهر حاجة المسيح الى يوحنا وكأنه يَطلبُ الغنى من الفقير وهو الغني يفتقر طوعاً : « اقرضني يمينك لِمَ تهربُ مني ؟ تبصرُ فتحرز النور » . (م — ٩)

والخيال الطليق يوقظ الحياة الشعرية فتنتفض قواها تحت ازميل الشاعر النحات او المصور الفنان يخلق الصور كأنها لوحة من الوان الطبيعة صورتها يد

الشاعر العبقري . فهناك « الشاوون في نظمة » يتبع سيدهم المسيح فيطيع فهم « فجرًا سيرًا » . وهناك بنو آدم المراة يتسربلون المسيح ستراً . في تلك المقطوعة ينفتح الاردن مرحباً بالمسيح ويعدُّ يوحنا سُبُلَهُ في المياه والعقول . » (م — ٣) وفي الاخرى يبصر يوحنا المسيح في الاردن كانه يبصر النهر في صحراء — والندى في اتون — والدية من عذراء . » (م — ٤)

والخيال الخلاق يرتدي بُردَ الاجواء يوشي بها قلادة القصيدة ومقطوعاتها فتتسلسل الصور والمشاهد عن مناكب النشيد ضياء وصفاء وجمالاً يتناثر مع تناثر الالفاظ كما في هذا الجو المترع بالصور والخيال النضير : « ثم تقدمت من المخلص كما يليق بعبد وبانتباه نظرت الى الاعضاء المتعرية اعضاء من يأمر الدنيا. فترتدي بالغيوم رداء ثم رأيت من جديد وفي وسط المجاري من ظهر قديماً بين الثلاثة الفتيان ندىً في نار والآن نارًا في الاردن يضيء ويفيض النور الذي لا يدنى منه » . (م — ١٤) ولا يتأخر الشاعر الخيالي عن الوثوب الى روعة التصوير بدقة بالالوان توضح وتوحي غنى النفس التي رسمتها . فيخلق الشاعر العبقري بعبقراته الساحرة ذلك الافق الفسيح الذي نقف امامه حيارى وقد سيطرت علينا نشوة الانشاد ونغمة الوحي الطريف وقوة الذهول فاذا بنا نشاوى من خمرة الشعر والموسيقى ولا نلبث ان نلتهم الصور والالوان او نلتقط من راحتي الشاعر بُرادة الذهب المتناثرة من ريشته المبدعة كما في هذه الابيات : « وقف يوحنا في المجاري وبسط يديه على المسيح وهتف بالناظرين : « انظروا في الاردن الغيث الكريم وروابل النعيم في مجاري المياه ، انظروا في النهر البحر العظيم ! » (م — ١٠)

وحينما تشتد العاطفة ولا يبقى ليوحنا من سبيل الى التخلص من هذا الواجب الذي فرضه عليه يسوع الفادي آنذاك يستعين المعمدان بالطبيعة كلها واذا « باعظم الانبياء » يغدو من شعراء الكون والطبيعة فيهيب بالينابيع والبحار والسماء والارض لتشاركه الفرح الذي تمتع به حين مدَّ اليد وعمّد رب الكائنات : « فافرحي يا سماء وابتهجي يا ارض وتقدسي يا ينابيع المياه لانه عندما ظهر ملأ كل شيء بالبركات وانار كل الموجودات النورُ الذي لا يدنى منه . » (م — ١٧)

وتكثر في شعر رومانس وبالاخص في هذا النشيد صور البديع الرائعة : « انا في داخلك وخارجاً عنك »[1] وهذه الصورة : « اقرضني يمينك فانا حائز على روحك وامتلك تماماً . »[2] صور الخيال الطليق يتلاعب بالبديع في كل فقرة من ابيات النشيد : تعالوا اذن جميعكم يا بني آدم المراة نتسربله فنستدفئ اتيت للمراة ستراً وللمظلمين ضياء . » (م — ١)

والمقطوعة الرابعة قطعة ساحرة من الجناس العالي والطباق الأخاذ ففي كل بيت من ابياتها الأولى صورة شعرية حية قوية وغنية : « لما ابصر يوحنا المسيح في الاردن ابصر النهر في صحراء — والندى في أتون — والديمة من عذراء . » وفي المقطوعة السادسة تتوى الصور وتجلو بالمعاني العميقة فتأتي مشعشعة برموزها المسيطرة على الذاكرة وقوة الخيال تأتي آية في البيان والسحر والجمال : « ليس من عادة النار ان تتهيب ولا يعرف الفقر ان يقرض الغني — ولا يعرف الضعف ان يناوئ القوي ولذا عمدت النور . »

وتأتي الاستعارات الخفيفة رائعة جميلة مثقلة بالوحي الخصيب فاسمع ما يقول المسيح ليوحنا : « انا ارسلت قبلاً جبرائيل فخدم خدمة جلى في مولدك وانت ايضاً ارسل لي ذراعك كملاك كي تعمد النور . » (م — ٨) اجل ان يد يوحنا الصابغ حين تمتد على رأس المسيح تغدو للنواظر كملاك خف من السماء ليشهد للمسيح انه ابن الله . وذلك « الندى في نار والنار في الاردن يفيض النور الذي لا يدنى منه » (م — ٥) روعة ساحرة ولون خضيل من ألوان الشعر الزاهر المخضب بالجمال والاناقة وهو الرمزية المجددة في القرون الحاضرة ولذة الفن وغذاء العبقريات يستسيغه الفنانون والشعراء الملهمون .

وكأني بالشاعر رومانس على سلامة ذوقه وسمو فنه وبساطة تعبيره ورشاقة افكاره يصور بكلمات محدودة صوراً هي من عالم الوحي البعيد المرمى والعميق الافاق من عالم اللانهاية « كيف — يقول يوحنا — كيف اعمد النور الشديد وانا من تراب ؟ » وهذه الصورة هي اوسع من مدى البحار : « انظروا في النهر البحر العظيم . » وهذا الفن في الشعر الصافي يظهر بمظهر التجريد الذي يرتئي به رومانس ابيات النشيد وكم تأتي الصورة حية بحياة اللون في الرسم وحياة الخطوط في النحت تتدفق بالرموز والايحاء في كل بيت من أبيات

... صورة ... يشعر في ... المعنى كما في هذه المقطوعة : « اعرفك من الحشا فكيف أجهلك الآن انت الظاهر . »[٥] وتلك الصورة المعبّرة عن ايمان يوحنا العميق : « وانا عندما كنتُ بعد مجتنا شاهدتك انتَ المحتجب وارتكضت من الفرح . » (م ـ ٥) وذلك التجريد الجريء : « لا يعرف الضعف ان يناوئ القوي »[٦] يضفي على الابيات قوة وروعة وذهولا واعجابا امام نظرة خاطفة الى كلمة « فقر » أو « ضعف » مجردة والى كلمة « الغني » « والقوي » فهذا التجريد الفذ هو من الالهام الصافي والوحي الخصيب فتبقى الفكرتان في عراك دائم ولا يحسمها العقل الحائر الا بعد ان يتذوق الصورة القوية التي رسمتها يد الشاعر الملهم . فمثل هذه الاستعارات والصور الجريئة والجناسات والطباقات الفنية ترفع الشاعر الى ذرى اللذة الشعرية الساحرة وترقى بالقارئ الى عوالم الوحي الخصيب والفن الأمثل .

مع هذا السمو بالتصاوير والمشاهد المتنوعة والجمالات الشعرية والمبتكرات الرمزية والتحليلات النفسية العميقة يشعر الشاعر رومانس افكاره فتتلاقى مع تعاليم أئمة معلمي اللاهوت الافذاذ . فهناك المسيح يشع بوجات الالوهة في مقطوعات النشيد فهناك اللازمة تتردد على مسمع البرايا حاملة للاذهان عقيدة جليلة واثباتاً واضحاً على لاهوت يسوع المسيح الذي وان بكُ بشراً كاملاً مع ذلك يبقى الهاً ازلياً يمشي على الارض وذلك « النور الذي لا يدنى منه » . (١ تيموثاوس ٦ ـ ١٥ و ١٦)

وهنا وهناك يظهر المخلص من خلال المقطوعات بتلك الصفات التي تجعل يسوع مخلص البشرية الوحيد الذي اخذ طبيعة آدم ليعطي ابناء آدم الالوهة والتي اليها صبا آدم ولم يحصل عليها في الفردوس : « آدم انت اين ؟ منذ الآن لا تتخفَّ عني ، اريد ان اراك ولو عرياناً ولو فقيراً ، لا تخجل ، اني تشبهت بك انت عندما اشتهيت لم تصبح إلهاً . اما انا فطوعاً صرت الآن جسداً . اذن ادنُ مني واعرفني . » (م ـ ٢) وهنا يظهر يسوع بمظهر التفرد والسمو في قداسته وطهارته التي تفصله عن باقي الناس : « لم وقفت في المجاري ؟ ماذا تريد ان تعمل ؟ واية آثام ؟ فانت بلا خطيئة في الحبل بك وفي ميلادك . » (م ـ ٧) واذا ما احجم يوحنا وتهيب الموقف انا يحجم امام الاله الطاهر

فيصرخ مستفسراً : « وانا عندما اضبط رأس الهي كيف لا يحرقني النور الذي لا يدنى منه ؟ » (م ـ ١٢) .

ويبقى لهذه العقيدة ذلك الجمال العميق الذي لا يندثر في لحظة بل يستمر في ذاكرة الفكر . فكلما غاص المفكر والاديب في تأمل ذلك الجمال الشعري وجد ذاته امام محيط بعيد القرار صافي الغمار فيلقي مرساته في عرض البحار ويغوص حتى الاعماق القصية ملتقطاً من درر الفكر والخيال . وهذا النشيد في ابياته هو انشودة موسيقية بفكر فلسفي عميق فالمنطق يسود هذا الحوار الخاطف والمترع بالجمال والحياة والنور والشعر الخالد الصافي الذي يجسّم المشاهد ويقربها للعقل وللخيال وللشعور ويجعلها كأنها من تراث الآن او يقربك من المشاهد البعيدة او يدنيك منها ويدنيها منك على بعد عشرين قرناً فتخال نفسك وانت تقرأ قصيدة رومانس انك امام شاعر تخذ الشعر اداة للعقل النير الخلاق ليبث في عقول وقلوب سامعيه افكاره وعواطفه واحساساته .

فيستمر رومانس على صعيد الشعر نشوة من عبير الزهر تتفتح مع ضياع الفن كأنها ابتسامة الفجر يطل على العمور ليقطف عن بتلات الزهور واكمام الأقاح لآلئ الندى وانشودة الطيور المنردة الصافية ويجردها من عوالم الضوضاء ليحصرها رحيقاً في مقطوعاته وأنغامه فتبقى ابياته وقصائده نغماً يشق عباب الأجيال فيرقص الزمن نشوان من رحيق الخلود والأزل المتجدد .

نشيد الظهور الالهي[1]

مقدمة

اليوم ظهرت
المسكونة ، يا رب ،
ونورك
قد ارتسم علينا
نحن مسبحيك عن معرفة .
لقد اتيت وظهرت ،
ايها النور الذي لا يدنى منه .

(1) Pitra : *Analecta Sacra Spicilegio Solesmensi parata*. Tome I. P.16-23. Paris, 1876.

١) لجليل الأمم
و كورة زابلون
و ارض نفتاليم
أضاء المسيح ،
ـ كما قال النبي ـ [1]
نورًا عظيماً ،
وللشاوين في الظلمة
يزغ الرب
فجرًا منيرًا
يتلألأ من بيت لحم ،
لا بل من مريم .
ونشرت شمس العدل
أشعتها
على المسكونة كلها .
فتعالوا اذن جميعكم ،
يا بني آدم العراة
نتسربله فنستدفئ .
اتيت للعراة سترا ،
وللمظلمين ضياء .
اتيت وظهرت ،
ايها النور الذي لايدنى منه

٢) لم يهمل الاله
من سُلب بمكر ،
ولا من تعرّى من الثوب الالهي
في وسط الفردوس [2] .
فمن العلى وافى
صوت مقدس
يدعو اول من جبل [3] :
« آدم ، انت اين ؟
منذ الآن لا تختف عني ،
اريد ان اراك
ولو عرياناً ، ولو فقيرًا ،
لا تخجل
اني تشبهت بك .
انت عندما اشتهيت
لم تصبح إلهاً ،
اما انا فطوعاً
صرت الآن جسدًا . »
اذن ، ادنُ مني ،
واعرفني لكي تقول :
« لقد اتيتَ وظهرت
ايها النورُ الذي لا يدنى منه . »

١) اشيا ٩ : ٢١ . متى ٤ : ١٥-١٦ ٢) تكوين ٣ : ١-١٤ ٣) حكمة ٧ : ١

ما ابصر يوحنا
المسيح في الاردن ،
أبصر النهر في صحراء ،
والندى في أتون
والدية من عذراء ،
واضطرب من الخوف
لان ما حدث آنذاك
كان عظيماً جداً ،
جاء نحو العبد
سيدُ الملائكة
مريداً ان يعتمد .
لذا لما عرف الصانع ،
الخالق ،
ووزن نفسه ،
هتف مرتعداً .
تمهل ، ايها الفادي ،
يكفيني
الى هذا الحد
اعرفك من انت
ايها النور الذي لا يدنى منه[٥]

قال لي احشائي ،
بما اني رحيم ،
فأتيت الى الخليقة
باسطاً يديّ
لأضمك .
فلا تخجل مني اذن ،
فاني لاجلك انت العريان[١]
انا اتعرى وأعتمد .
عندما أبصرني الاردن
انشق
ويوحنا تهيأ سبلي
في المياه وفي العقول .
هذا ما قاله
المخلص للانسان ،
لا بكلمات
بل بأفعال
اتى كما قال
دخل في النهر ،
ودنا من الصخرة
ومن السابق
النور الذي لا يدنى منه .

١) تكوين ٣ : ١٠-١١
٥) تيموثاوس ٦ : ١٦

٥) لو أتمّ
ما تأمرني به ،
ايها المخلص ،
لرفعت شأني .
٩٥ بالحقيقة
انا لا أقوى
على ما يفوق طاقتي .
انا اعرف من أنا ؛
ولو جهلتُ غاية إتيانك ،
١٠٠ فاعرفك من الحشا .
كيف اجهلك الآن
انت الظاهر (الآن) ،
وانا عندما كنتُ بعد محتجبا
شاهدتك انت المحتجب
١٠٥ وارتكضت من الفرح[٦] ؟
توقف ، اذن ، يا مخلص ،
ولا ترهقني ،
فيكفي اني أهلت
لرؤيتك . حسنٌ لي
١١٠ انك دعوتني سابقاً ،
فانت النور الذي لا يُدنى منه

٦) انا أبحث كيف أتزلف
بهمة المعتمد لك ،
لأنها بك أليق .
١١٥ انا محتاج
الى ان تعمدني[٧] ،
وانت تأتي اليّ ،
تبادرني بطلب
ما اريد ان اطلبه منك .
١٢٠ ماذا تطلب من انسان ،
يا محبّ الانسان ؟
لِمَ تحني رأسك
تحت يدي ؟
ليس من عادة النار
١٢٥ ان تتهيب
ولا يعرف الفقر
ان يقرض الغني .
ولا يعرف الضعيف
ان يناوئ القوي !
١٣٠ ألا أغثِ الخطأة
فانهم بحاجة اليك ،
ايها النور الذي لا يدنى منه

٦) لوقا ١ : ٤٤
٧) متى ٣ : ١٤

لِمَ وقفتَ في المجاري؟ ٨) ان الذي يرى الكائنات
وماذا تريد ان تغسل ؟ ١٥٥ عندما لاحظ
١٣٥ وأيةَ آثام خوف السابق
فانت بلا خطيئة قال له :
في الحبل بك وفي ميلادك ؟ حسن ، يا يوحنا
انت تأتي إليَ ، حسن انت تتخوف مني .
والسماء والارض ١٦٠ ألا دعِ الآن
١٤٠ تراقبان اذا كنت أتسرع . فهكذا لاق
انت تقول لي : عمدني ان اكمل ما حددته[٩] .
والملائكة تراقبني من العلاء دعِ الآن وانفض
ليقولوا لي آنذاك : عنك هذا الخوف .
اعرف ذاتك ! ١٦٥ ادِّ لي هذه الخدمة ،
١٤٥ لا تتسرّعْ ! واجبك الآن إكمالها .
اذاً كما قال موسى ، انا ارسلت قبلاً جبرائيل
انتخب ، ايها المخلص فخدم خدمةً جُلّى في ولادتك[١٠]
لهذا الأمر الذي تطلبه مني وانت ايضاً ،
آخرَ غيري[٨] ١٧٠ ارسل لي
١٥٠ فانت اعظم مني ذراعك ملاكاً
وانا اخاف ، كي تعمد
اسألك كيف اعمدك النور الذي لا يدنى منه
ايها النور الذي لا يدنى منه؟

٨) سفر الخروج ٤ : ١٢ ٩) تث ٣ : ١٥ ١٠) ١ : ١-٢٥

تذهل الآن ،
ايها المعمدان ،
وتخاف العمل ،
بما انه كبير ،
انه كبير حقاً .
وقد ابصرت امك
اعظم من هذا .
انظر الى مريم ،
وفكر كيف حملتني .
قل لي بوضوح
ما كنت تريده آنذاك
فاني اريده الآن حقاً .
لا ترتبك ايا عمدني ،
أقرضني يمينك
فانا حائز على روحك
وامتلكك تماماً .
لِمَ لا تقرضني يدك ؟
انا في داخلك وخارجاً عنك ،
لِمَ تهربُ مني ؟
تَبَصَّرْ فتحرز
النورَ الذي لا يدنى منه !

ايها المعمدان ،
انا لا اسألك
ان تصعد الى الجبال .
لا اقول لك :
« قل لي ما قلته للأئمة ،
وما حرّضت به الخطأة »[11]
عمدني فقط ،
والزم الصمت ،
وانتظر ما ينتج
عن العماد .
فمنه سيتحوز المجد
« الذي ما حازه الانبياء .
سأجعلك اعظم
من كل ابناء الأرض
ما رآني بوضوح
واحد من الأنبياء ،
بل في رموز
وظلال وأحلام .
واما انت فتبصر الآن ،
وتحرز واقفاً امامك عن رضى
النور الذي لا يدنى منه .

(11) متى ٣ : ٧ — ٨ و١٢

١١) دع ما نطقت به ،
واعمل بما تسمع ،
ولا تشهد بشيء ،
فان لي في السماوات
شاهداً امیناً[١٢] .
وهذا الشعب الواقف
لا يقبل شهادتك
كما ينبغي.
دع الآن
فانهم من السماء
يتلقنون
مَن انا ، وابن مَن انا ،
وما سأعطيه لاحبائي .
سأفتح السماوات ،
واحدر الروح ،
واعطيهم هذا الروح
عربوناً .
فتعال انت ايضاً
وادنُ ، لكي تتعلم
من اين يبرق
النور الذي لا يدنى منه

١٢) عندما سمع وليدُ العاقر
الكلام الرهيب وغير الموصوف ،
قال لمن ولد من عذراء :
لا تغضب عليَّ ، [١٣]
ايها الفادي
اذا ما نطقت من جديد .
فالضرورة القصوى
اعدتني لأن اتكلم
بحرّية كبرى .
لِمَ اقود اذن
ايها المخلص ،
الخطر بيدي الشقية
وارميها الى النار
حتى يعرفك هؤلاء ؟
قديماً مدّ الحي يده
ليمسك التابوت
فقطعت . [١٤]
وانا عندما اضبط
رأس الهي
كيف لا يحرقني الآن
النور الذي لا يدنى منه ؟

١٢) متى ٣:١٧ ١٣) سفر القضاة ٦:٣٩ ١٤) سفر الملوك الثاني ٦:٦-٧

١٣) أيها الصابغ ،
ايها المانع .
أسرع بايجاز
لا الى المناوأة ،
بل الى الخدمة .
ها انت تبصر
ما أتم ،
وانا ارسم لك
عن كنيستي
صورة واضحة وخطيرة .
بيمينك سأوزع القوة
التي سأمنحها بعد هذا
بأيدي التلاميذ والكهنة.
اظهر لك بجلاء
الروح القدس ،
وأسمعك صوت الآب
يعلنني
ابناً حقيقياً[٥]
ويهتف :
هذا هو
النور الذي لا يُدنى منه .

١٤) بعد هذا الحديث الرهيب
هتف ابن زكريا
نحو الخالق :
انا لا امانع ،
بل اتم
ما تأمرني به .
حينئذ قلت هذا للمخلص
وتقدمت منه
كما يليق بعبد ،
وبانتباه نظرت بورع
الى الاعضاء المتعرية
اعضاء من يأمر السماء
فترتدي بالغيوم رداء
ثم رأيت من جديد
وفي وسط المجاري
مَن ظهر قديماً
بين الثلاثة الفتية
ندّى في نار[٦]
والآن نارًا في الاردن
يُضيء ويفيض
النور الذي لا يدنى منه

١٥) متى ٣ : ١٧

١٦) دانيال ٣ : ٩٥

١٥) عندما ابصر
ابن زكريا المعجزات
وقف في المجاري ،
بهمة الكاهن ،
ووضع يديه
على المسيح ،
وهتف نحو الناظرين
انظروا في الاردن
الغيثَ الكريم[١٧]
ووابل النعيم
في مجاري المياه
ـ كما كتب ـ
انظروا في النهر
البحر العظيم
اذن لا يعدني احد جسورا
لاني أتمم هذا الأمر
كخادم لا كمتقدم .
انه هو الرب
وقد قال لي اصنع هذا
ولذا عمدت
النور الذي لا يدنى منه

١٦) وهتف إله الجميع
عندما وجدني متباطئاً ،
انا الانسان المائت
« ضع يدك عليّ
فانا أقويها ! »
كيف اكون ضعيفاً
اذا كان الامر هكذا
وتممتُ ما قال .
كيف اعمد
الغمر الشديد ،
وانا من تراب ،
لو لم اقبل القوة
واخذها من العلى ؟
اني احس الآن
بأنه حاضر فيّ ،
وما كنت قبلاً هكذا ،
بل ظهرت افضل
مما كنت عليه :
لهذا اذهل واتمجد ،
ارى واحرز
النور الذي لا يدنى منه .

١٧) مزمور ٦٧ : ٩

١٧ ان لا اقول بعدما قلته قبلاً ١٨ ن ابن زكريا ؛
لا احل سير حذائك[18] ، بالرتبة الالهية ،
فها من الشواطئ ٣٦٥ رفع العقل ،
٣٦٥ انقدم نحو الهامة ، ومد يده ،
لا اطأ ارضاً من بعد ، وبسطها على الملك ،
بل السماء نفسها . غسله بالمجاري ،
لان ما اتممه وقاد الى الأرض
امور سماوية ، ٣٧٠ ربّ الارض والبحار ،
٣٥٠ بل بالاحرى اسارع نحو الاعالي ، الذي من السماء
فهي تحمل ، اظهره الآب
ولكنها لا ترى ، بالصوت كما بالاصبع ؛
ما تحمل . وقال :
اما انا فانظره الآن واحمله . ٣٧٥ هذا هو ابني «الحبيب»[19]
٣٥٥ فافرحي ، يا سماء ، فللآب اذن
وابتهجي ، يا ارض ، وللابن المعتمد ،
وتقدسي ، يا ينابيع ، وللروح القدس
يا ينابيع المياه : اهتف :
لانه عندما ظهر ٣٨٠ ايها الفادي استحق
٣٦٠ ملأ كل شيء بالبركات ، من يحزن نفسي .
واثار كل الموجودات وهدّئ البحار
النور الذي لا يدنى منه ايها النور الذي لا يدنى منه!

18) مرقس ١ : ٧ 19) متى ٣ : ١٧